



## حس الجمال.. كيف نصقله؟ (2/1)

ما السر وراء توق الإنسان الدائم إلى الجمال؟ كيف يمكن لنا أن نعبّر عن الجمال أو حتى أن نصفه عندما تفلت منا الحروف وتستحي الكلمات لعجزها عن التعبير، لا سيما عندما تأخذنا الغبطة لدى رؤية جمال فائق يشعّرنا بذلك الانخطاف المحبّب، وكأن هذا الجمال المائل أمامنا بدأ يأخذ بعداً مقدساً فلا يسعنا سوى أن نخرّ في خشوع ونستسلم للتأمل في روعته الأخاذة.

فما الجمال؟ بل ما حقيقة الجمال؟ هل هو جمال الجسد والقوام، أم نضج الشخصية وتألّق الحضور؟ هل هو حلو الكلام أم أناقة التعبير؟ هل الجمال في الفن ألوان منسجمة، ونسب متناسقة فحسب؟ وهل يكمن جمال فن الأدب مثلاً في كون الكلمة تصويراً يتهادى معنى، أم هو في بلاغته عشق بين «روح» المغزى و«ذات» المعنى و«جسد» المبنى - في دقة ورقة وقوة - دقة التعبير في رقة المشاعر وقوة الفكر...؟ لطالما كان هدف الفن هو الجمال ولطالما كان كل فن ذي قيمة يرمز إلى الحقيقة عبر وسائل، وأنماط، وأدوات مختلفة من التعبير، ذلك لأن التعبير هو جوهر الإبداع الفني. ومهما تكن الإجابة، نلاحظ أن بين الأشياء الجميلة طابعاً مشتركاً أو صفة خاصة تضيف عليها سمة الجمال كالتناسق، والانسجام، والمنطق المتين إذا ما تكلمنا عن جمال المواضيع الفكرية مثلاً.

يفيد علم الكلم semantics بأن مصطلح علم الجمال Aesthetics مشتق من الكلمة الإغريقية Aisthanesthai التي تشير إلى فعل الإدراك to perceive، وكذلك من كلمة aistheta التي تعني الأشياء القابلة للإدراك things perceptible.

وبالتالي نستنتج أن تذوّق الجمال لا بد من أن يكون على صلة قوية بالعقل، لأن إدراك الجمال هو نتيجة علاقة بين الشيء الجميل، والعقل الذي يدركه. والعقل هو أداة الوعي عبر الفكر كما هو معلوم. فما علاقة الجمال بالوعي وهل يمكن للإنسان أن يطور حس الجمال لديه، وكيف يتم ذلك؟

كلما سألنا عن الجمال، فإن أول ردٍ نسمعه هو: «الجمال نسبي»، فما يبدو لي جميلاً قد لا يعجب الآخرين، والعكس صحيح. ولكن دعونا اليوم نتفكّر عميقاً في هذه العبارة، ولنسأل أنفسنا: هل جمال الأشياء، أو تألقها يتأثر بثقافة أو باختلاف آراء المشاهدين أو النقاد؟ والجواب هو: كما أن المعرفة لا تكبر ولا تنمو إنما ذواتنا هي التي تكبر بالمعرفة وتنمو بها... كذلك الجمال لا يتغير ولا يتبدل في عالم الحقيقة. أما في عالم الواقع فإن إدراكنا له يُصقل، وفهمنا له يتوسع كلما ارتفعنا درجة على سلم الوعي.

إن تقوية حس الجمال في النفس هي تفعيل عملية استشفاف الجمال في كل ما حولنا من خلال الانفتاح الفكري - المشاعري أولاً. فاستشفاف الجمال من خلال الانفتاح هو في الدرجة الأولى حالة تفاعل وتواصل مع الآخر.. مع الحياة والأشياء من حولنا... إنه حالة مد وجزر.. حالة عطاء وأخذ تمثل مدى حركة الوعي في الكيان.

ولأن التفاعل هذا يختلف من شخص إلى آخر، نتيجة تباين نسبة الوعي بين الأفراد، فإنه لهذا السبب ارتباط مفهوم الجمال بالنسبية.

في هذا الصدد تخبرنا علوم باطن الإنسان - علوم الوعي - الايزوتيريك بأن: «الجمال الذي يخضع لقاعدة النسبية في العالم المرئي هو في الحقيقة خارج أطر المعادلات النسبية. فهذه المعادلات النسبية لا تمثل غير حاجة فكرية للتعرف على الجمال بالمقارنة». وتضيف هذه العلوم النبيلة: «إن شعور الجمال لا يزكيه غير شعور الحب. فالجمال هو وهج الحب وهالته، لأن الجمال في الأصل هو وهج النور وهالته في ما وراء الأرض».

المهندسة: ندى شحادة معوض

www.esoteric-lebanon.org





## حس الجمال.. كيف نصقله؟ (2-2)

مما سبق يتضح أن الحب - الحب الأصيل - يزكي شعور الجمال، إذ إنه يحقق الاستقرار، والتوازن للكيان البشري، من خلال تغلغله في كل من الجسد، والمشاعر، والفكر في ثلاثية: لذة - تفاعل - وعي. فالإدراك الفائق للجمال المادي مثلاً يحدث خلال أرقى حالات الاكتمال لوعي الحواس، وهذا ما يحققه الحب! فالحب هو دافع أساسي للطاقة الخلاقة في الإنسان، لكونه يمثل صميم إرادة التغيير والتغيير، ووقود التحدي الذي لولاه لما حققت النفس خطوة واحدة باتجاه التطور. إن تأثير الحب في العقل هو تماماً كتأثير شعاع الشمس الذي يلامس زهرة مفتحة بُتيلاتها كي تستقبل الحياة في أبهى تعبير عن مكنون أريجها.

من هنا يمكننا القول: إنه إثر التوازن الذي يحققه فعل الحب في الكيان ككل، يحدث التالي تلقائياً:

- الأحاسيس والحواس تتيقظ وتتصل...

- المشاعر تترقرق وتتفاعل لتلتقط أرق نسمة وعي.

- الفكر يضحى دائم التوثب والترقب والتدفق...

هذه هي ثلاثية الإبداع التي تتوسع في شرحها موسوعة علوم الإيزوتيريك التي بلغت واحداً وأربعين كتاباً لتاريخه. وبالتالي فإن الإنسان الذي يحقق هذه الثلاثية في نفسه يتفتح لديه حس الجمال تلقياً وبشاً، فيضحى كل ما يصدر عنه يحضر نفسه في أذهان الآخرين، وأفئدتهم سواء كان كتابةً أو قولاً أو عملاً، لأن مصدره، ومنبعه الذات الإنسانية، وتغدو حياته مثلاً يُقتدى به.

تنص علوم الإيزوتيريك أيضاً على أن عصر النور والمعرفة المتقارب سيشهد تطوراً كبيراً على صعيد الجمال والذي سيعكس التطور الحاصل على مستوى الوعي الخاص والعام. أما بالنسبة لجمال المظهر (أو الشكل)، فمما لا شك فيه أن العصر الجديد لن يقتصر على جمال القوام والمحيا فحسب بل سوف يتعدى ذلك ليشمل جمال الشخصية والمقدرة على التعبير... أي جمال الوعي. وبعبارة أخرى هو جمال النبض الذي يسري فهماً داخلياً كلما تفتحت المدارك لاستيعاب كل جديد، وكلما بات العطاء يوازي الأخذ، وكلما تكثفت التجارب وتعمقت الخبرات الحياتية وتنوّعت.

الجمال حولنا كيفما تلفّتنا، ولكننا لا ندركه كلياً لافتقارنا إلى المعرفة ودقة التمييز. من هنا بات علينا أن نتحضر للمستقبل القريب، وأن نهذب حس الجمال في نفوسنا عبر:

1- اكتساب دقة التمييز من خلال تطبيق القاعدة الفكرية الرباعية: تفكير، تحليل، تمييز، واستنتاج.

2- اكتساب النظام من خلال تطبيق التنظيم والانتظام، لأن النظام في حد ذاته هو جمال في ترتيبه، وتناسقه، وانسجام عناصره.

3- اكتساب الرهافة المشاعرية والشفافية الفكرية.

كما يتوجب علينا أيضاً أن نثابر على محاولة استشفاف الجمال في كل بقعة وفي كل مكان وفي كل شيء، سواء في الطبيعة من حولنا أو في الجماد، وحتى في مختلف أوجه القباحة. فجمال القباحة كحلو المر، يفوق بكثير حلو الحلو...

المهندسة ندى شحادة معوض

www.esoteric-lebanon.org